الدرسُ الصَوتي في التُراث اللغوي العربي في ضوءِ ثُنائية المَنطوقِ والمَكتوبِ

أ. م. د. انجيرس طعمة يوسف
جامعة البصرة - كلية الآداب

الملخص :
تعدّ ثنائية المنطوق والمكتوب من مقولات الدرس اللساني الحديث. ينطلق منها الباحث لوصف الخصائص اللغوية المستعملة في الكلام . ولا يتطابق بشكل تام المنطوق مع المكتوب بسبب الحركة المستمرة للمنطوق والتغير الحاصل على المستوى الصوتي. وتحظى اللغة العربية بنصيب اقل من اللغات الأخرى في نسبة التفاوت وقد أشار الدرس الصوتي العربي القديم الى مواطن الاختلاف متأثراً بالتطور الصوتي البسيط والنظام الكتابي والظواهر الصوتية محاولة لإيجاد التطابق. بعد أن فرض النص الديني نوعاً من الألزام حال دون ايجاد مسافات كبيرة يحتاج معها الدرس الصوتي الى نمط آخر من الكتابة وهو الكتابة الصوتية.

المقدمة:
الحمد لله الذي ﴿**خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ الرحمن / ٣-٤ والصلاة والسلام على خير الأنام المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آله الطيبين الكرام. وبعد ....
فإن الأنسان الذي كرّمه الله بالنطق وعلّمه الكتابةَ ليتواصل مع أبناء جنسه ويقلل من جهد الحركة وغموض الاشارة جدير بإن يلاحظ

نطقه وكتابته ويطوّرهما بما يتناسب مع حركة الحضارة دون المساس بثوابت اللغة . فسيرورة الاستعمال السريع لا بد أن يرافقها مقابلات كتابية تطابقها لإزاحة الغموض والتعميه عن آليات التواصل .

ومن هنا فقد تبلورت فكرة البحث في هذه الموضوعة التي أعُدُّها حيويةً بحياة الإنسان ولغته وأردت النظر منها للدرس الصوتي العربي . لا رغبة في إيجاد التوافق بين الدرس القديم والحديث بل تأصيلاً للدرس الصوتي العربي ، وكشفاً لبعض مضامينه بعد أن ظَلَّ تحت منضماً للدرس النحوي ردحاً من الزمن عند نشأة الدرس اللغوي العربي .بعد أن وجدت أن مَن كتب في هذه الثنائية لم يسلط الضوء على الدرس الصوتي القديم فهو الأقرب لمثل هذه الموضوعات . ومن ذلك (النص بين المنطوق والمكتوب دراسة لسانية تطبيقة) وهي رسالة ماجستير للطالبة (آسية باتني) من جامعة وهران في الجزائر .وثمة بحوث في المنطوق فقط ولم تتعرض لهذه الثنائية فضلاً عن الدرس الصوتي وهي بذلك بعيدة عن هذا البحث .

وقد تضمن البحث تمهيداً وخمسة مباحث رئيسة . وقفت في التمهيد عند ثنائية المنطوق والمكتوب وبيانها في الدرس الحديث وأهميتها في المدارس والدراسات . والاشارات التي وردت في الدرس الصوتي العربي . وفي المبحث الأول حققت النظر في ثنائية فرعية وهي الصوت والحرف للدفاع عن التراث العربي فأفردت لها مبحثاً بعنوان (الحرف والصوت) . وفي المبحث الثاني أوجزت عوامل الاختلاف بينهما بعاملين موضحاً ذلك في المنظور العربي فجاء بعنوان (عوامل الاختلاف بين المنطوق والمكتوب) . وفي المبحث الثالث وقفت عند المجالات الصوتية التي تتبين فيها هذه الثنائية بين النقص في المكتوب أو الزيادة فيه فكان عنوانه (الموضوعات الصوتية) وتضمن هذا العنوان مباحث فرعية تدخل في الإطار ذاته وهي صفات الأصوات ، والصائت والصامت ، وتفرعات الأصوات أو ما يسمى بـ(الفونيمات

والالفونات) . والظواهر الصوتية مثل التنغيم والنبر والإدغام . ثم جاء المبحث الرابع والأخير للتفريق بين الكتابة الصوتية والهجائية ومدى حاجة العربية لذلك فكان بعنوان (الكتابة الصوتية والكتابة الهجائية) ثم ختمت البحث بنتائج توصلت اليها بعد رحلة التنقيب في كتب القدماء . وليست خاتمة بحثي المتواضع هذا خاتمة البحث في هذه الثنائية فلا زال ثمة ما يُكتب ويُقال.

وأخير اشكر الله تعالى على نعمة الصحة وسلامة الفكر والقدرة على البحث والتفكر ونسأله تعالى التوفيق والسداد.

التمهيد:

الدال والمدلول ، واللغة والكلام ، والمنطوق والمكتوب . ثنائيات وقف عندها دي سوسير لتأطير الدرس اللغوي الحديث بإطار الاستعمال ، والوصف . و ثنائية المنطوق والمكتوب من الموضوعات الحيوية المتجددة في الدرس اللغوي . والبحث فيها يختلف عن البحث في ثنائية الشفاهي والكتابي – وإن تداخلا نوعاً ما – إذ يتعلق الأخير بالتوثيق العلمي ونقل المضامين المعرفية ، ولا يقتصر على المجال اللغوي بل كلّ ما ينقل من تراث مشافهة أو كتابة . أما ثنائية المنطوق والمكتوب فهي من موضوعات الدرس اللغوي الحديث الذي يرتكز على الجانب الصوتي . فما ينطقه المتكلم يتلقاه الباحث اللساني ليتعرف منه على خصائص اللغة أو اللهجة. ويكتبها ويبحث فيه وفي مستوى التطابق بين ما يُنطق وما يكتب . وذلك بالحركة من المنطوق الى المكتوب . وليس العكس فلا يصح في البحث الوصفي أن نقول أن الرمز المكتوب كذا ينطق كذا بناءً على شكل الرمز . فنقطة الانطلاق تبدأ من الصورة المنطوقة[1] . يتفرع على هذه الثنائية بعض المفاهيم والموضوعات الأخرى الداخلة في الموضوع نفسه . وربما كانت على شكل ثنائيات أيضاً منها : ثنائية الحرف والصوت . وثنائية اللغة المشتركة واللهجة ، وثنائية الصوائت والصوامت . وثنائية الكتابة الهجائية والكتابة الصوتية . وهي ثنائيات مهمة تُسهم

في بيان موضوعة الاستعمال بصورتيه المنطوقة والمكتوبة .

يستهدف علم اللغة الحديث الأشكال المنطوقة ويقدّمها على الصور المكتوبة وإن ارتبطت بها ارتباطاً وثيقاً . بل يعدُّ الإهتمام بالمكتوب على حساب المنطوق من الأوهام القديمة التي أنعكست على الدرس اللغوي – بحسب دي سوسير – ويشبّه هذا الإهتمام بمن ينظر لصورة الشخص للتعرف عليه بدل أن ينظر الى الشخص نفسه. بل يرى أن الاهتمام بالمكتوب يحجب عن الباحث الوجود النطقي المستقل . بعد أن يعمل على الفصل بين الصورتين وعدم تبعية المنطوق للمكتوب. وقد ذكر مبررات تفضيل المنطوق على المكتوب وعدم الانسجام بينهما بشواهد من اللغات الحية مثل الإنكليزية والألمانية والفرنسية .[٢] فقد يُرمز للصوت الواحد بأكثر من صورة كتابية : ففي اللغة الفرنسية يُكتب صوت (z) بالصور الكتابية الآتية :(g، j، ge) في المفردات الآتية : (geai) وتعني نوع من الطيور ،و(joli) وتعني جميل ، و(geler) وتعني يتجمد وقد يرمز لأكثر من صوت برمز كتابيّ واحد ففي الفرنسية أيضا يرمز بالصورة الكتابة (t) لصوتي:(s) ، (t).[٣] فالانكليزي يكتب (laugh) ويلفظ (laf) والفرنسي يكتب (lLs mangent) ويقرأ (lLs manj) .وإهتمام أكثر لغات العالم بالكتابة جعلها مقياساً لهم وجعل القواعد اللغوية الناتجة قواعد كتابة لا قواعد نطق وفهم.[٤] ومن المؤكد أن اللغات تختلف كيفاً وكماً في هذه الفوراق ولذا صار هذا الأمر محل اهتمام الدرس اللغوي الحديث . واستمر الاهتمام بالمنطوق على حساب المكتوب في مدرسة براغ التي جاءت فيما بعد . وكذلك المدرسة الأمريكية البنيوية اي الاتجاه السلوكي لـ(بلومفيلد) بينما لا تفضّل مدرسة (كوبنهاكن) المنطوق على المكتوب وتعدّهما وحدتين تعبيريتين يمكنهما أداء الوظيفة نفسها. إلى أن أتى (جاك دريدا) في تفكيكيته ، وفكّك المبنى المعرفي لهذا التفضيل وهو قولهم بأفضلية الطبيعة التي

يمثلها المنطوق على الكتابة ووجد تعارضاً في نظرية سوسير[٥] ومهما يكن فالموضوع لا يزال محل اهتمام الدارسين. فكلما ازدادت حركة التطور في هذه اللغات وغيرها كلما اصبح الافتراق بين المنطوق والمكتوب كبيراً . وهي حركة دينامية تتعلق بطبيعة اللغة وتأثير العوامل المحيطة بها. ومن هنا بدأ لتفكير بإعادة النظر في الأنظمة الكتابية ويجب أن نعترف في بداية الأمر أن عجزاً كتابياً واضحاً في اللغات الإنسانية. وكل لغة إنسانية نجد – بحسب فندريس- لها من الأصوات أكثر من العلامات وهذا هو حال اللغات الفرنسية والإنكليزية والإيطالية والألمانية وإن عدد الأصوات في أية لغة لا يتعدى الستين مع فرق في بعضها[٦] وهو دليل على قدرة الجهاز النطقي على إصدار هذا العدد الكبير من الأصوات في مقابل الصور الكتابية. ولعل ثمة أصوات جديدة تظهر عبر الخلط بين صوتين أو أكثر. ويكون لها وجود في الاستعمال البشري في ظل التسارع الكبير في البحث عمّا هو جديد ومختلف .ولا ينبغي تعميم الأحكام لكل اللغات فلكل لغة طبيعتها التي تميزها عن غيرها في بعض الظواهر والمظاهر والقوانين النطقية والكتابية . ولها مستوياتها المختلفة . وهكذا ينبغي دراسة كل لغة ومعرفة ظروف النطق والكتابة . والتأكيد على الدرس الصوتي بوصفه محل الاهتمام في هذه الثنائية. لأن دراسة بنية الكلمة أو نظم الكلام قاصرة دون الدرس الصوتي . فعلم الأصوات يدخل في بدايات اللغة التي لا كتابة لها ويسهم في إصلاح الابجديات التقليدية لتكون أكثر دقة [٧] .ويبقى السؤال الأهم في هذا البحث هو ما نصيب اللغة العربية من ذلك قديماً وحديثاً؟ وكيف تعامل الدرس اللغوي القديم مع هذه الثنائية لتقليل الفجوة بينهما ؟ وما حاجة العربية للكتابة الصوتية ؟ وما أهميتها ؟ سنقف عند مفاصل عنوان البحث فحسب.

إشارات عربية لثنائية المنطوق والمكتوب

بقطع النظر عن المصطلحات التي وردت في كتب التراث غير أننا نجد الإشارات واضحة لهذه الثنائية بألفاظ مقاربة تدلُّ بشكل أو بآخر على المضمون اللساني المتعلق بثنائية المنطوق والمكتوب ولكنها ليست مطابقة . منها : ثنائية اللفظ والخط . وثنائية اللفظ والكتابة . وثنائية البنان واللسان . وثنائية القلم والكتابة وغيرها . وكل ما يشير الى الموضوع نفسه . فقد قدم ابن جني اللفظ على الخط وعدّ اللفظ أصلاً للخط[٨]. وفي باب الخط قسّم العكبري العلاقة بين الكتابة واللفظ على أربعة أقسام هي : كتابة الحروف غير الملفوظة ، وحذف بعض الحروف الملفوظة من الخط ، وقطع ما يمكن وصله ، ووصل ما يمكن قطعه[٩]. وهذه إشارات واضحة لعلاقة المكتوب بالمنطوق وتقسيم منطقي لمستويات التطابق والإختلاف. ثم يقرر العكبري خصوصية النص القرآني فيما يتعلق بهذه الثنائية إذ يقول : « ذهب جماعة من أهل اللغة الى كتاب الكلمة على لفظها الا في خط المصحف فإنهم اتبعوا في ذلك ما وجدوه في الإمام والعمل على الأول»[١٠] .وثمة إشارة لهذه الثنائية عند القلقشندي في صبح الاعشى بلفظي البنان واللسان إذ قال : « البيان اثنان بيان لسان وبيان بنان أومن فضل بيان البنان ان ما تثبته الاقلام باق على الابد وما ينبسه اللسان تدرسه الايام . »[١١]. و أشار الجاحظ الى هذه الثنائية بلفظي (الكتابة واللسان) . ذاكراً فائدة القلم والكتابة مستدلاً بالقرآن الكريم وكلام العرب . ومما ذكره في تفضيل المكتوب على المنطوق قوله: « الكتاب يقرأ في كل مكان أويدرس في كل زمان أواللسان لا يعدو سامعه أولا يتجاوزه الى غيره .. »[١٢].وهذا التفضيل يتعلق بالنوع الثاني من الثنائية وهي كما ذكرنا ما يتعلق بالتوثيق المعرفي . وكتب الزجاجي في الجمل مبحثين في الهجاء للتفريق بين ما تنطقه العرب وما تكتبه وقال: « وأعلم إن للهجاء ضربين : ضرب منه للسمع وضرب منه لرأي

العين»[١٣] . وتتبين أفضلية المنطوق في التراث العربي لبداهة أهتمامهم بما هو شفوي من جهة ولإشارات بعض اللغويين من جهة أخرى. إذ يتناقلون الادب واللغة شفاها وتتكرر عبارات مثل : (هكذا نطقت العرب) . أو(قالت العرب) او(قال من يوثق بعربيته) وغير ذلك من العبارات التي تبين أهمية المنطوق في الوعي اللغوي العربي .وقد وجدنا هذه الثنائية في اكثر مباحث اللغة من النحو والصرف والصوت والدلالة لتقديرنا أن الدرس الصوتي موجود في اغلب مستويات اللغة المختلفة وهو أسبقها في الوجود لذلك سنقتصر الحديث على الدرس الصوتي المستقل قدر الامكان في هذه البحث . وسبب التفضيل وهو أن المنطوق يتلاشي بمجرد نطقه في إشارة الى الفائدة المرجوة من الطريقين على المدى البعيد وحفظ المعرفة تكون في الكتابة حتماً . وهذه وجهة نظر تختلف عما يريده اللسانيون من دراسة اللغة عن طريق الاستعمال الآني . فالجاحظ وغيره من علماء العربية ينظرون الى اللغة بوصفها وسيلة التواصل المعرفي . ونقل العلوم والآداب. وهو مما لا شك في أولولية المكتوب فيه . أما اللسانيون فينظرون اليها من جهة فهم اللغة لذاتها وثمة فرق بين المنهجين .

الحرف والصوت

تعلمنا في مسيرتنا الدراسية للغة الإنكليزية بأن نكتب (th) وننطقها ذالاً ونكتب (tion) وننطقها شيناً ولا وجود لصوت الذال ، والشين في الأحرف المكتوبة . لذا اطلقوا على الذال ، والشين أصواتاً . وما يعبّر عنها في الكتابة حروفاً . وصار التركيب من صوتين أو اكثر ينتج صوتاً جديداً وعنصراً مختلفاً كما في بعض المركبات الكيميائية التي تنتج مركباً مختلفاً عن خواص العناصر الداخلة في التركيب . ونتيجة لتطور أغلب اللغات الإنسانية باستمرار كثر عدم التطابق بين ما ينطق وما يكتب. لسيرورة المنطوق بحسب حاجة المتكلم وثبات المكتوب بحسب ما وضع له من نظام كتابي.

ومن ثم فإن الدرس اللغوي

الحديث لما كان قائماً على اللغات الأجنبية المتطورة باستمرار صار يفرّق بين الصوت والحرف من جهة النطق والكتابة . إذ يعدُّ الحرف هو الوجود الكتابي للصوت . والصوت هو الوجود النطقي . لذا وجد بعض المستشرقين ومن تبعهم من اللسانيين العرب أن علماء العربية القدماء لم يفرقوا تفريقاً دقيقاً بين هذين المصطلحين . وقد أُخذ على سيبويه ذلك . إذ ينقل د ابراهيم انيس عن المستشرق الألماني (شادة) ذلك : « وقعت لنا أخيرا محاضرة ألقاها الأستاذ الألماني أ . شاده الذي كان يقوم بالتدريس في كلية الآداب ، وفيها يعرض لآراء سيبويه ويناقشها . وكان مما أخذه المحاضر على سيبويه استعماله كلمة (الحرف) التي تعبّر في الحقيقة عن الرمز المكتوب ، فقد استعملها لما يسمع أيضا . ولكن يعتذر عن هذا بأن كثيراً من علماء أوروبا ظلوا إلى عهد قريب يسلكون نفس المسلك »[١٤] وكذلك يرى تمام حسان إذ يقول : « ومن الواضح إن سيبويه مع تفريقه بين أصو الحروف وفروعها لم يكن يفرق بين اصطلاحي (الحرف) و (الصوت) على نحو ما يفرق علم اللغة الحديث بين اصطلاحي phoneme وsound »[١٥] ويرى د .رمضان عبد التواب أن الصوت «هو ذلك الذي نسمعه ونحسه .أما الحرف فهو ذلك الرمز الكتابي الذي يتخذ وسيلة منظورة ، للتعبير عن صوت معين أو مجموعة من الأصوات»[١٦] . ومن ذلك تبدو لي ثمة ملاحظات في ذلك منها :

١ .لا بد – في البداية – من معرفة دلالة الحرف والصوت في كلام العرب . فالحرف يطلق على حدّ الشيء ، والعدول عن الشيء وتقدير الشيء[١٧]. أما الصوت فهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع[١٨] . وبذلك فالعرب لم تحدد معنى الصوت للصوت البشري بمخارجه وصفاته كما هو في الدرس الصوتي الحديث بل هو كل طاقة يمكن أن تصل لأُذن السامع فهي صوت سواء أكانت من الإنسان أو الحيوان أو حتى الكائنات الأخرى .فنقول صوت الانسان والحيوان والشجر والحجر. فهي طاقة أولية تمرُّ عند

الانسان بمسارات عدة من خلال أعضاء النطق لتخرج على شكل حروف من نهاية الفم . ليكون الحرف دالاً على حد الشي ونهايته بعد انحراف الصوت عبر أعضاء جهاز النطق.

٢.تتوافق دلالة الحرف والصوت في النص القرآني مع ما ذكرنا فقد جاء الحرف بمعنى العدول أو الحد .كما في قوله تعالى: ﴿**مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾ النساء / ٤٦ .وقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ** ﴾ الحج / ١١ . وبذلك فإن الحرف هو العدول تارة و الحدّ والحافة تارة أخرى. وقد ورد الصوت في النص القرآني مقترناً بالإرتفاع والانخفاض لأنه يمثل حركة الذبذبات الخارجة. سواء أكانت من الإنسان أو من غيره بقطع النظر عن كيفية تشكّلها خارجاً قال تعالى : ﴿**وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾ لقمان / ١٩ . وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ** ﴾ الحجرات / ٢ .ومقياس ارتفاع الأشياء وانخفاضها من معايير القدرة.

٣.إن استخدام اللغويين العرب لثنائية الصوت والحرف كان دقيقاً في الدرس الصوتي القديم ولم يكن مخالفاً لمعطيات اللغة والدلالة . يقول الخليل: « في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون صحاحا .. »[١٩] وعقد سيبويه باباً لحروف العربية ومخارجها وصفاتها إذ قال: « هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها فأصل الحروف العربية تسعة وعشرون حرفاً »[٢٠] وهو واضح في قصده ويتكرر استعمال الحرف عنده من تعريفه للمجهور: «حرف اشبع الإعتماد عليه في موضعه ومنع النفس من أن يجري معه حتى ينقضي الإعتماد عليه ويجري الصوت»[٢١] نجد ثمة مصطلحات ثلاثة استعملت بشكل دقيق من سيبويه وهي النفس والصوت والحرف في التعريف نفسه. ويبدو أن النَفَس هو أول حركة الهواء الخارج

. ثـم يـأتي الاعـتراض مـن أعضـاء النطـق ليتضـح الصـوت فيخـرج بشـكل حـرف. ثـم يـأتي ابـن جنـي في تقعيـد ويعـرّف الصـوت بقولـه: « عـرض يخـرج مـع النفـس مسـتطيل متصـلاً حتـى يعـرض في الحـق والفـم والشـفتين مقاطـع تثنيـه عـن امتـداده واسـتطالته فيسـمى المقطـع أينـما عـرض لـه حرفا»[٢٢].فهـو بذلـك يتحـدث عـن طاقـة أوليـة تدخـل للتصنيـع عـبر ممـرات تقـوم بعـض أعضـاء النطـق بتشـكّلها وإخراجهـا مـن مخـرج معـين بصفـة معينـة .لتكـون حرفـاً ذا خصائـص معينـة. لـذا فهـو يعـرّف الحـرف بقولـه: «هـو حـدّ منقطـع الصـوت وغايتـه وطرفـه كحـد الجبـل »[٢٣] وبذلـك نجـد ان ابـن جنـي يفـرّق تفريقـاً دلاليـاً واضحـاً بـين الصـوت والحـرف. وهـو عـين مـا ذكرنـا، وليسـت ثمـة خلـط أو التبـاس . و يعـرّف الجاحـظ الصـوت بانـه: « آلـة اللفـظ والجوهـر الـذي يقـوم بـه التقطيـع وبـه يوجـد التأليـف ولـن تكـون حـركات اللسـان لفظـا ولا كلامـا موزونـا ولا منثـورا الا بظهـور الصـوت ولا تكـون الحـروف كلامـا الا بالتقطيـع والتأليـف»[٢٤] وهـو أكثـر إيضاحـاً للمطلـوب .وأوضـح منـه مـا ذكـره السـيوطي بقولـه : « مـا خـرج مـن الفـم ان لم يشـتمل عـلى حـرف فهـو صـوت »[٢٥] وهكـذا فـإن الـدرس الصـوتي العـربي القديـم كان دقيقـاً جـداً في وضـع هـذه الثنائيـة موضعهـا الصحيـح .ولـذا فـإن الحـرف والصـوت في الاسـتعمال العـربي يدخـلان تحـت مصطلـح المنطـوق في الـدرس الحديـث.

٤ . يمكـن القـول أن الـدرس اللغـوي الحديـث هـو الـذي اسـتخدم هـذه الثنائيـة اسـتخداماً غـير دقيـق وجـاء بالحـرف للوجـود الكتـابي، والصـوت للوجـود النطقـي للحـرف . ثـم عـدّ ما يخالفـه خطـأ. عـلى أن الـذي جعلهـم يتمسـكون بهـذا التفريـق هـو ضيـق الأفـق اللغـوي في اللغـات الأجنبيـة . فلـم تكـن ثمـة مفـردات كافيـة لسـد حاجـة الـدرس الصـوتي ، والتعـرف عـلى مـا افرزتـه اللسـانيات الحديثـة الا بتكـرار بعـض الالفـاظ .

أسباب الاختلاف بين المنطوق والمكتوب

ثمة عوامل عدة يمكن رصدها في حصول الاختلاف بين المنطوق والمكتوب في الدرس الصوتي العربي ويبدو لي أن الخصها – طلباً للاختصار في سببين رئيسين وهما : التطور الصوتي ، والنظام الكتابي.

التطور الصوتي

المراد بالتطور هنا هو ما يطرأ على النظام الصوتي من تغير وتبدّل في الأصوات وطريقة نطقها نتيجة الحركة الطبيعية لكل ظاهرة في الحياة . ونحن هنا لا نتوقف عند تفصيلات هذا التطور الا بمقدار ما يقابله في المستوى الكتابي . وهذا التطور الملحوظ في اللغات يقابله ثبات في الألفباء . ومن ثم تكون الكتابة عاجزة عن مواكبة التطورات التي تحصل في اللغة وبخاصة التغيرات الصوتية في البيئات المتعددة التي تنتمي الى لغة واحدة . وبذلك يرى د. كمال بشر ضرورة التعديل في الألفباء لتلاحق التطور في اللغة[٢٦]. وثمة أسباب عدة للتطور الصوتي ذكر إبراهيم انيس سبعة منها وهي : إختلاف أعضاء النطق ، والجانب الجغرافي ، والحالة النفسية ، ونظرية السهولة ، ونظرية الشيوع ، ومجاورة الأصوات ، والنبر[٢٧] ويمكن جمعها في ثلاثة أسباب رئيسة وهي :

الأول : جغرافية الصوت الثاني : تداخل الحضارات . الثالث : الظواهر الصوتية .

ومن المعلوم إن جغرافية اللغة العربية جعلها تنسلخ عن اللغة الام وهي اللغة السامية لتتميز بخصائص معينة تفترق عن غيرها التي تشترك معها ببعض الخصائص الأخرى وهو تطور طبيعي يحدث في الظواهر الحية .ثم تشعبت على لهجات وهكذا.. ومن ذلك ما توصل اليه برجستر اسر في تطور بعض أصوات العربية إذ وجد أن صوت الفاء العربي كان أصله في اللغات السامية صوت (الباء) بثلاث نقط بدل الواحدة وهو ما يقابل (p) بالانكليزية . فكلمة (فم) العربية يقابلها في العبرية (pe) وفي الارامية (pum)وفي الأكدية(pu) . وحصل التطور في أصوات السين

والشين في العربية . فالشين الآرامية صارت سيناً عربية والسين الارمية صارت شيناً وهكذا مجموعة من التطورات الصوتية للغة العربية عن اللغات المشتركة الأخرى التي اصبح بعضها مطرداً وبعضها غير مطرد[٢٨] . واللغة هي عادات صوتية تنتقل من السلف للخلف وتؤدى بعضلات النطق المعروفة لكنها قد لا تؤديها بالصورة نفسها في كل مرة بل قد يلاحظ الباحث التغير في نطقها باختلاف البيئة الجغرافية الواحدة .بل ربما يختلف الشخص الواحد في النطق بين مرة وأخرى في ظروف مختلفة فاذا استمرت تلك الفروق البسيطة تتحول الى فروق واضحة فيما بعد وتختلف بذلك لغة الأجيال. ولكن ليست ثمة وسيلة نتبين منها الفرق الصوتي بين لغة الأجيال سوى الكتابة وهي لا تنقل لنا الخصائص الصوتية بلغة القدماء بشكل دقيق.[٢٩] وبذلك فان الكتابة لا تسهم في وصف الأصوات ونطقها بالشكل المطابق للمنطوق لعدم وجود الوسائل الحديثة في نقل الصوت . ويدخل الطقس والتضاريس والظروف المناخية الأخرى في التطور الصوتي إذ يرى كولتز الألماني ان المناطق الجبلية تميل الى الأصوات المهموسة لان البيئة تتطلب نشاطاً كبيرا في عملية التنفس[٣٠]. وكلما تباينت العوامل الجغرافية من المناخ والتضاريس بين أبناء اللغة الواحدة كلما تباين النطق مع ثبات الحروف المعبرة عنها وبذلك تكون نسبة العجز الكتابي اكثر في تلك اللغة. وتتباين أصوات اللغة العربية بين مجتمع وآخر لعدم التواصل بسبب البيئة القاسية حتى تكونت اللهجات العربية ولا نريد الحديث هنا عن الكشكشة والعنعنعة والشنشنة وغيرها بل نتحدث عما حصل من تطور في نطق الأصوات بين قبائل العرب وما رافقه من الكتابة . ومهما يكن من تطور في اللغة العربية فهي لا تفترق كثيرا عن الكتابة. وذلك بسبب ارتباط الكتابة العربية بالقرآن الكريم. ومما يؤكد إيقاف النص القرآني للتطور الصوتي وتميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات في حركة التطور ما نقله

الداني : « سئل مالك : أرايت من استكتب مصحفاً اليوم . أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء ؟فقال لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكَتْبَة الأولى»[٣١] وبذلك يتبين حرص أهل العلم على بقاء المكتوب القرآني كما هو وإن تطور النطق والهجاء. على أنه من المفيد القول إن الرسم القرآني لم يكن توقيفياً من قبل النبي ٦ بل هو من الكتّاب الذين أعادوا كتابة القرآن الكريم في مرحلته الأخيرة . ويرى الباقلاني أنه لم يفرض عليهم رسماً معيناً أثناء التدوين . ولو كان ذلك واجباً لوصل الينا بالسمع – بحسب الباقلاني – لذلك اختلفت خطوط المصاحف . إذ كان بعضهم يكتب الكلمة على مخرج اللفظ ومنهم من يزيد أو ينقص منها إذ يتعامل معها على أنها اصطلاح لا يخفى عن الناس[٣٢] . ويتضح من كلام الباقلاني عدم الدقة في الكتابة أو عدم وحدة الخط الأمر الذي جعل بعض الاختلاف في رسم الحروف . وهذا التساهل ناشئ من الاعتماد على ما محفوظ في الصدور. وتزداد المسافة بين المنطوق والمكتوب مع حركة التطور كما يرى د عبد الصبور شاهين – وذلك يتبين بشكل جلي في اللغات التي لا تتمسك بماضيها وهي اللغات الاوربية .أما العربية فاثر الزمن فيها ضعيفاً لارتباطها بالقران الكريم . و يأتي ببعض الامثلة في العربية لبيان اثر التطور في التفريق بين المكتوب والمنطوق منها : فكلمة (بَيت) التي تنطق بالفتح على الباء صارت تنطق بالكسرة الممالة على الباء (بِيت) وكلمة (قوم) صارت تنطق بالكاف المصرية . مع الاحتفاظ بالصورة الكتابية . ويرى شاهين ان الكتابة في العربية هي عبارة عن رموز تذكارية لما كان عليه السلف والا فهي لا تعبّر عن المنطوق بشكل مطابق الا بالقرينة التي تفسّر المراد من الرمز الكتابي .ولكنه ينتقل من كتابة المنطوق الى نطق المكتوب ففي الأمثلة التي جاء بها في (الصلوة ، الزكوة ..) لا تؤدى من الواقع الكتابي بل لا بد ان تسمع من المقرئ حصراً[٣٣] ولعمري ان ذلك لا يتم على اطلاقه في الدرس اللغوي ولا في المكتوب

القرآني الذي تعرض لظروف إعادة التدوين وتعدد الخط والكاتب وغير ذلك من ظروف تدوين النسخة الأخيرة في زمن عثمان. ويبدو ان ذلك يعالج في موضوع النظام الكتابي العربي.

النظام الكتابي

من المعلوم تاريخيا إن الانسان بدأ بكتابة الأفكار قبل كتابته للكلمات والحروف في مرحلة الكتابة الصورية او التصويرية لتكون صورة الحيوان بدل لفظه .فالصورة كالاسم في ميدان الوجود الغيبي . ثم جاءت الكتابة المسمارية والهيروغليفية . واستعمل الاشوريون مكملات صوتية فبعد الكتابة التصويرية يعينون نطق الكلمة بمقطع صوتي وهو من خصائص الكتابة الاشورية. وتعدّ الأبجدية الحرفية آخر مراحل الكتابة . ومثلما حصل التطور في الكتابة حصل التطور في مواد الكتابة وفي رسمها[٣٤].. ويرى أبن جني إن الخط العربي هو الجزم لأنه جُزم من خط المسند وهو خط حمير في اليمن[٣٥]. وفي موضع آخر يرى إن أصل الخط العربي هو من النبط . إذ يرى أن صوت الظاء لم يكن في كلام النبط وإذا وقعت في كلامهم مفردة تضم صوت الظاء قلبوها طاء مثل ناطور وأصلها ناظور من النظر على صيغة (فاعول)[٣٦] . وهي إشارة واضحة لأصل الخط العربي . وأجدني موافقاً لما عليه بعض الباحثين من انتساب الخط العربي الى النبط بعد البحث والتنقيب[٣٧] على ان اقدم اشكال الخط العربي هو النسخ والكوفي أو الحيري نسبة للحيرة في العراق[٣٨]. والكتابة العربية لها تاريخ طويل من التطور والانتقال وتنوع الخطوط ما يدلُّ على ثراء الكتابة وتحسين الخط والإهتمام به. إذ يعدُّ ذلك من عوامل الرقي الحضاري. ومهما تحتمل الكتابة العربية من تدقيق الحروف وتجليلها -كما يذكر ابن النديم نقلاً عن الكندي – وما فيها من السرعة ما لا يوجد في غيرها وما فيها من أنواع الخط وغير ذلك من اهتمام العرب بالخط والكتابة [٣٩]. فإن ذلك لا يعني المطابقة بين المنطوق فعلاً والمكتوب . وتبقى

الحاجة ملحة لتحرّي المطابقة . ولو طالعنا خصائص الكتابة العربية في رسم الأصوات لتبين لنا جزءاً من علة عدم المطابقة . فالخط العربي والفينيقي والاجريتي من الساميات التي لا تكتب الحركات أو الصوائت القصيرة . وتشترك اللغات السامية بأصوات الراء واللام والنون والتاء والدال ولكن يختلف نطقها فتارة بالتفخيم او بدونه . و تعرضت بعض الاصوات في بعض اللغات السامية للتغير مثل الباء في العبرية تنطق مثل العربية اذا كانت في اول الكلام ولكنها تنطق قريبة عن صوت (v) في الانكليزية اذا كانت في وسط الكلمة . والثاء في العربية تقابلها الشين في العبرية والاكادية وتغير نطق الخاء والتاء[٤٠] وقد ذكر د غانم قدوري خصائص الكتابة العربية التي ورثتها عن أصولها هي :

١ .خلوها من النقط إذ يشترك أكثر من حرف برسم واحد مثل الدال والذال والراء والزاي وغيرها

٢ .خلوها من الحركات.

٣ .حذف الألف المتوسطة وأحيانا الواو والياء مثل لكن هذا وغيرها .

٤ .قابلية ارتباط الحروف مع بعضها ما عدا بعض الحروف مثل الراء

٥ .رسم تاء التانيث بالتاء المفتوحة مثل مدينت وسنت وغيرها .

٦ .زيادة الواو في الكتابة النبطية ولا زال بعضها موجود مثل عمرو .

وقد كان كثير من هذه الظواهر الكتابية في المصاحف القديمة قبل التنقيط وإعادة الخط [٤١]. وبذلك يمكن معرفة سبب اختلاف المنطوق عن المكتوب في بعض الصور اللغوية هو الرسم الاولي للخط العربي فضلاً عن التطور اللغوي . و إن كثيراً مما حيّر الدارسين في الرسم القرآني هو الخط وتقنيات التدوين الأول. وتكرار التدوين . لذا وقف أهل العربية عند مسالة الكتابة والخط كثيراً. إذ يحصي د . غانم قدوري أربعة وعشرين مصدراً قديماً بعنوان الهجاء والخط وعنوانات قريبة من هذا المضمون . ولعل أول كتاب اسمه (الهجاء) كان للكسائي (١٨٩) ثم (حدُّ الهجاء) للفراء (٢٠٧) . وهو دليل على اهتمامهم بالكتابة ورسم الحرف بشكله الصحيح

وهكذا جاءت كتب كثيرة بهذا العنوان. و من هنا جاءت مرحلة النقط في العربية عاملاً مهما في تحرّي المطابقة بين المكتوب والمنطوق وكان اهتمام كتب القراءة بارزاً ومختلفاً نوعاً ما في الدرس الصوتي عن كتب الدرس اللغوي . لذا قال الداني : « وإذ كان سبب نقط المصاحف تصحيح القراءة وتحقيق الألفاظ بالحروف حتى يتلقى القرآن على ما نزّل من عند الله تعالى وتُلُقيّ من رسول الله ٦.... فسبيل كلّ حرف أن يوفّى حقّه بالنقط مما يستحقه بالحركة والسكون ، والشدّ والمدّ والهمز وغير ذلك .. »[٤٢] وهو أمر واضح في تحقيق الكتابة الصوتية بأفضل صورها لتحقيق المطابقة المنشودة لكل دراس لغوي ومهتم بالنص.

علاقة المكتوب بالمنطوق في الدرس الصوتي العربي القديم

مما سبق يتبين أن الدرس الصوتي العربي تأثر بعوامل عدة أدت الى حالات إفتراق المنطوق عن المكتوب.وبذلك فإن العلاقة بينهما أما التطابق أو عدم التطابق . والثاني يمكن أن يقسّم على ثلاثة أقسام وهي : عدم التطابق بالزيادة في المكتوب ، أو النقص فيه ، أو الاختلاف بينهما من جهة الكيف. ومن الملاحظ أن الزيادة في المكتوب في بعض دروس النحو أو الصرف لا تعد زيادة في الدرس الصوتي بالضرورة على حساب المكتوب. ما دامت المطابقة بينهما موجودة . فزيادة الهاء في النداء والف الاطلاق وغير ذلك مما يكتب كما ينطق لا يعنينا لوجود المقابل الكتابي . وكذلك كُلُّ حذف لسبب نحوي أو صرفي مع وجود الحذف الكتابي المقابل له لا يدخل في البحث .وقد وجدنا هيمنة بعض ما يمكن تسميته قوانين صوتية تتحكم في حالات عدم التطابق ومنها : الأصل والفرع إذ ينقص ما يسمى بالفرع الصوتي في الكتابة عن الأصل. ومنها قانون التخفيف والتيسير وهو قانون صوتي قديم وحديث يعمل على التقليل الكمي من جهد النطق تارة ومن جهد الكتابة أخرى. وسيتبين من عرض الموضوعات الصوتية المتعلقة بهذه الثنائية .

صفاتُ الأصواتِ وأنواعُها

بعد أن يذكر اللغويون العرب كيفية نطق الأصوات ويتفانون في معرفة المخارج الصوتية لكل صوت وهو جهد وصفي متميّز. تأتي مرحلة الكتابة فلا نجد الاهتمام نفسه سوى إشارات وذلك لما ذكرنا من شفاهية الثقافة في تلك الفترة . فبعد تقسيم الأصوات على أساس معياري واضح ومنه الحسن وغير الحسن . نجد سيبويه يصرح بأن الأصوات غير المستحسنة وهي الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف ، والتي كالشين ، والضاد الضعيفة ، والصاد التي كالسين ..وغيرها لا تبين الا عن طريق المشافهة ، أي لا رمز كتابي لها .إذ يقول فيها : « وهذه الحروف التي تممتها اثنتين وأربعين جيدها ورديئها اصلها التسعة والعشرين لا تبين الّا بالمشافهة»[٤٣] . ومن الواضح أنه يشير الى العجز الكتابي عن ذكر بعض الأصوات التي ليس لها مقابل بالكتابة . فهي وإن كانت قليلة وغير مستحسنة على حدّ قوله لكنها مستعملة وهو ما يؤكد عليه الدرس اللغوي . وتكرر القول بالمشافهة عند المبرد وأضاف مصطلح (الصورة) ويعني به الصورة الكتابية . إذ أن الحروف عنده خمسة وثلاثون منها ثمانية وعشرون لها صورة وسبعة على الالسن والمشافهة وهذه التي ليس لها صورة هي الهمزة بين بين والالف الممالة والف التفخيم والحرف المعترض بين الشين والجيم والحرف المعترض بين الزاي والصاد والنون الخفيفة.[٤٤]. وقد ذكر الزجّاجي الأصوات وصورها الكتابية المتشابهة. وقارب بينها من جهة الصورة الكتابية.في إشارة الى تطور الابجدية. إذ يرى إن الحروف ثمانية وعشرون لها تسع عشرة صورة . فالباء والتاء والثاء على صورة واحدة عند الخط والكتابة. وكذلك الحاء والخاء والجيم الا إنهم يفرقون بينها بالنقط التي وضعت فيما بعد. ويعلّل ذلك على وفق قانون الخفة والسهولة إذ يرى إن ذلك أخف من أن يضعوا لكل حرف صورة خاصة به فتكثر الصور[٤٥] . وفي ذلك إشارة الى النظام

الكتابي الحديث فإن التقليل من الصور الكتابية مع ذكر التنقيط أسهل في التطابق ونقل المنطوق. من وضع صور كتابية أخرى .إذ إن عملية التنقيط هي الصورة الكتابة الصوتية الأفضل . أي إن وضع العلامات على الصوت الواحد في نظام الكتابة هو أفضل من تكثير الصور الكتابية. ويعتني ابن جني بهذا الثنائية بدءاً من تفسيره لحروف المعجم إذ يرى أن المراد منها الحروف التي ترفع الابهام سواء أكان بوضع بعض النقاط او بأي شيء آخر يوضح الحرف[٤٦]. ثم أنه بعد أن يذكر أصول حروف المعجم وهي تسعة وعشرين حرفاً في إشارة الى فروعها . يفصّل في كتابة بعض الحروف معللاً بالتخفيف كتابة الهمزة ياء أو واواً . فلولا هذه العلة لكتبت الهمزة محققّة كما في الفعل (أخذ) ثم يأتي بشاهد يقول إنه وجد في أحد المصاحف مكتوباً (يستهزأون) مع أن ما بعدها الواو ، وما قبلها الياء ولكنها جاءت مكتوبة بالتحقيق . ويحتج ابن جني على مَن يخرج الهمزة من الحروف بحجة عدم ثبات صورتها الكتابية . إذ يرى اسبقية الوجود اللفظي كافي في إثباتها ويؤكد مرة أخرى[٤٧] وفي إشارة صريحة وواضحة في تقديم المنطوق على المكتوب أو اللفظ على الخط يعلل وجود اللام مع الهمزة بقوله : « إن واضع الخط أجراه في هذا على اللفظ لأنه أصل الخط . والخط فرع على اللفظ فلما رآهم قد توصلوا الى النطق بلام التعريف .... قدّم قبل الألف في (لا) لاماً توصلاً للنطق بالألف الساكنة .. »[٤٨]

ويقف اللغويون ايضاً عند تعدد الصورة الكتابية للفونيم الواحد و ما يتفرع منه مما يسمى بالالفونات. وقد اطلق اللغويون عليها بالفروع أحياناً فرقاً عن الأصول. وتوصيف ابن جني للفروع يقترب من المنهج الحديث إذ يفرّق بين نوعين من الفروع : الأول الفروع الحسنة التي يؤخذ بها في القرآن وهي ما يقابل الالفونات وهي ستة منها : النون الخفيفة والهمزة المخففة وألف التفخيم والف الإمالة ..والثاني وهي غير الحسنة وهي ثمانية . والتي تعبّر عن وجود ضعيف

وغير متقبل وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالشين والتي كالكاف وغيرها .ومجموع الفروع لا مقابل كتابي لها ولا تعرف الا بالسمع والمشافهة[٤٩]

ويرى الزمخشري أن ما يتفرع عن الحروف الأصول ستة ومنها النون الساكنة التي فيها غُنّة في الخيشوم أو النون الخفيفة أو الخفيّة . وألفا الإمالة والتفخيم في عالِم وصلاة والشين التي كالجيم .[٥٠] ومن هنا يتبين العجز الكتابي وقد يكون العكس وذلك أن صوت النون يمكن أن يكتب بالنون والتنوين وهو من مشكلات الكتابة الى وقتنا هذا إذ نقرأ في كثير من وسائل التواصل من يكتب (شكرن جزيلن) وذلك لاشترك الصورتين في صوت واحد . وقد ذكر ابن جني هذه المسالة في باب اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين في الحروف والحركات والسواكن ففي القافية المنتهية بالنون يجوز ان تكتب بالنون إذا اردتها نون الإنشاد ويجوز ان تكتب بتنوين الصرف ففي قولك في القافية: رأيت سعاداً يقول ابن جني : « فأنت في هذه النون مخيّر: إن شئت اعتقدت أنها نون الصرف .... وإن شئت جعلتها نون الانشاد »[٥١]

الصوائت والصوامت

يفرق بينهما من ناحية عضوية من جهة تقارب أعضاء النطق فإذا اقتربا يخرج الصوت صامتاً لإغلاق ممر الهواء الخارج من الرئتين . أما إذا كان ثمة تباعد بينهما فيكون الصوت حراً ويسمى صائتاً. فتخرج من أقصى الحلق . والصوائت قسمان : صوائت قصيرة ، وطويلة والقصيرة هي الحركات والطويلة هي الحروف . وهي الالف المسبوقة بفتحة أو الواو المسبوقة بضمة أو الياء المسبوقة بكسرة وهذه هي الصوائت الطويلة و القصيرة وهي الحركات : الفتحة والضمة والكسرة[٥٢]. وما سوى هذه الصوائت فهي صوامت كلها . وما ينفعنا في هذا المبحث هو أهمية الحركات في نقل المنطوق ومطابقته للمكتوب. والتساؤل هنا هل كانت العربية تعرف الحركات ؟ أم تكتب بدون حركات وتصل معانيها ويتم

التعامل بها في خطاباتهم المكتوبة بحسب السياقات ؟ والجواب محصور بين أمرين:

الأول: أنها تعرف الحركات من البداية .

الثاني: أنها اضطرت الى ايجادها فيما بعد لاسباب تتعلق بنظام الكتابة .

ويبدو لي أنها كانت تعرف الحركات منذ البداية وذلك للأسباب الآتية :

١ـ .كثرة الحركة في كلام العرب .وذلك لان العرب لا تبدأ بساكن ولا يتصل ساكن بساكن ولكن قد يتصل متحرك بمتحرك[٥٣] ومن ثم فلا يستغنى عن الحركة في المنطوق العربي فكيف يستغنى عنها في المكتوب عند استخدامه؟

٢ـ وردت بعض الأحاديث تبين أن بعض الصحابة كانوا يشددون على عدم وضع الحركات والنقاط على القرآن الكريم خوفاً من الزيادة والتحريف ومنها قول ابن مسعود : « جردوا القرآن ولا تخلطوا به غيره» أي ارفعوا عنه التنقيط والحركات[٥٤] . وهو دليل على وجودها سابقاً فالأمر بإيقاف الشيء يتفرع على وجوده .

. وقد قدم د عبد الرحمن الحاج صالح بحثاً بعنوان (الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة الحديثة) بين فيه سبب اعتماد علماء العربية على الحركة والسكون دون غيرها ويرى ان المقصود بالحركة هي الحركة العضوية التي تتيح المتكلم الانتقال من حرف لآخر ومن هذا المنطلق يرى ان علماء العربية فرقوا بين الجرس في الحرف والصرف فالجرس هو ما يدركه السمع والصرف هو ما يتعلق بالانتقال من حرف لآخر وان توالي الحروف تحكمها فكرة التهيؤ للنطق للحرف التالي. ومن ثم فلا يفهم السامع معنى الصوت المنطوق الا بوجود هذه الفواصل الصائتية .

ولما كانت اللغات لا حركات لها كما في العربية فإنهم وجدوا ان المقطع لا يمكن أن تكون بدون وجود صائت. ويرى د غالب المطلبي في كتابه عن أصوات المد ان الخليل كان في حال البحث عن جذور وأصول الألفاظ لإنشاء المعجم ويضيف صاحب كتاب الصوائت

في العربية ان الخليل اعرض عن الصوائت القصيرة لعدم حاجته لها في مقام انشاء المعجم واكتفى بحروف المد لان لها تمثيل كتابي ولا وجود التمثيل الكتابي للحركات. ومن الواضح أن هذه الحجة واهية بدليل انه كان يقول عن بعض الألفاظ في اللهجات المختلفة يقول برفع الثاني أو نصبه فلم تعجزهم كتابة الصوائت القصيرة برمزها المعروف فقد كانت موجودة في كلامهم بالتشكيل الصوتي لبعض الألفاظ يأتي مع الكلمة مباشرة فأنت تقرأ كلمة قرأ في المعجم بالفتح لأنه يذكر لك ذلك كتابة ومن ثم بالكتابة اغنت عن الصوت وأوصلت الصورة النطقية الصحيحة وذلك بعد التعرف على النطق الصحيح بشكل شفاهي من مصادره الأصلية. ولا يعني ذلك أن الخليل او من جاء من بعده لم يفرقوا بين الصامت والصائت بل على العكس من ذلك فقد ذكر الخليل الاصوات الصائتة وميزها عن غيرها بوصفها بالحروف ألهوائية او الجوفية الدلالة على عدم اعتراض الصوت وخروجه من الجوف.

ويبدو أن مسالة الفرع والأصل تؤثر في ثنائية المنطوق والمكتوب .فالحرف أقوى من الحركة – عند ابن جني – لأنه يمكن ان يوجد بشكل مستقل وليس كذلك الحركة[٥٥] ومن هنا فإن اهتمامهم بالصامت مبني على وجود رمز كتابي له سابق على رمز الحركة[٥٦] وكل ذلك نشأ من الاهتمام بالامور الأساسية في بداية الدرس اللغوي عامة والصوتي خاصة. إذ لم نجده منفصلاً عن الدرس اللغوي في بداية النشأة.

يؤدي قانون الخفة والسهولة الصوتي دوراً واضحاً في اختلاف المنطوق عن المكتوب في ثنائية الصامت والصائت .وتراجع المكتوب ونقصه عن المنطوق . على ان القانون نفسه يعمل في زيادة المكتوب اختصاراً في النطق وذلك إذا كان ما يبقى من الكلام يدل على ما حذف مع عدم خوف الالتباس ومن ذلك حذف الألف في البسملة وحذفها في (ابن) للتخفيف وكثرة الاستعمال وحذف الالف من ال التعريف اذا دخل

عليها حرف الجر (اللام) مثل (للرجل) وكذلك حذف الالف من بعض الاعلام مثل إبراهيم واسحق . والواو من (رؤس) ممن يكتب بواو واحدة . ومنه حذف الالف من هذا وهؤلاء[٥٧] .

الظواهر الصوتية

إن الظواهر الصوتية التي ذكرتها كتب النحو والصرف وكتب القراءة القرآنية تؤكد بشكل واضح التفاوت بين ما ينطق وما يكتب. فالتنغيم والنبر والمد والامالة وغير ذلك من الظواهر المهمة في الدرس الاستعمال اللغوي لما لها من أثر في تغير الدلالة ولا يوجد لها مقابل كتابي . وقد أهتم أصحاب القراءة بذلك أككما ذكرنا لأهمية النطق ومن ذلك ما ذكره الداني من كتابة المدّ اذ يقول : « إن نقّاط بلدنا جرت عادتهم قديماً وحديثاً على أن جعلوا على حروف المدّ واللين الثلاثة الألف والياء والواو مطّة بالحمراء دلالة على زيادة تمكينهن .. »[٥٨] وهذا الأمر إذا كان حرف المد موجوداً في الكتابة . أما إذا لم يكن موجوداً أي محذوفاً لسبب ما فأنهم يضعون المطّة في مكانه المحدد له في اللفظ أو يرسمون الحرف باللون الأحمر ثم يضعون المطة عليه[٥٩] وهو واضح في محاولة المطابقة عن طريق إيجاد صيغة كتابية لابراز ظاهرة المد في صوات المد المعروفة

النبر

النبر في اللغة : هو الهمز لذا نجد في معجمات اللغة يذكر مع المستوى الصوتي ولا تنبر أي لا تهمز ونبرت الحرف اذا همزته[٦٠] . وبذلك فهي ظاهرة صوتية يقف فيها الدرس العربي القديم بالضغط على صوت واحد لتفريقه عن غيره. أما في الدرس الصوتي الحديث فتعني الوضوح السمعي في بعض المقاطع ونشاط في أعضاء النطق في وقت واحد يقابله فتور في المقاطع المجاورة[٦١] . ولأهمية هذا الصوت وتغيراته وتنوع النطق به عند العرب ألفت فيه كتب عدة تحت عنوان (الهمز) لأهميته في المنطوق العربي . ولا يعني ذلك أن العربي لا يستخدم النبر بالمعنى المعروف حديثاً بيد أن الدرس اللغوي القديم ارتبط عنده النبر بالمعنى اللغوي فحسب

لذلك نجد ثنائية المنطوق والمكتوب في الدرس القديم تتعلق بالهمز وما يطرأ عليه . فلو وقفنا عند الهمز في الدرس الصوتي عند سيبويه والمبرد نجد انهما يبحثان في ثنائي النطق والكتابة مؤكدين على المنطوق لعدم وجود مكافئ لصوت الهمز إذا كانت (بين بين) أي بين الهمز والألف أو بين الهمز والياء أو بين الهمز والواو فإنه لا توجد صورة كتابية تبين قوة الصوت وضعفه الذي يفرضه هذا النوع من النطق إذ يقول سيبويه في ذلك : « أعلم إن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة تجعلها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققة غير أنك تخفف الصوت ولا تتمه وتخفى لإنك تقربها من الألف .. »[٦٢] .وهكذا إذا كانت الهمزة بين بين مع الياء والواو . وبذلك يؤكد سيبويه على دقة النطق بعدم إمكانية الكتابة الصوتية بشكل يتناسب مع هذه الظاهرة الصوتية. وقول سيبويه (بزنتها محققة) يقصد بالصورة الكتابية نفسها للهمزة المحققة مع تخفيف النطق بها . وأطلق المبرد على قوة الضغط الصوتي على الهمزة بالنبرة إذ يقول : « والمخففة بوزنها محققة ، إلا انك خففت النبرة لأنك نحوت بها نحو الألف .وينطبق الشي نفسه أذا كانت بين الهمزة والياء إذ قال المبرد : « فإذا كانت مكسورة وما قبلها مفتوح نحوت بها نحو الياء وذلك يئس الرجل والمخففة – حيث وقعت – بوزنها محققة إلا أن النبر فيها أقل ..»[٦٣] ومن الواضح أن علماء العربية لم يجدوا مكافئا كتابياً لهذه الظاهرة لذا ألزموا المتكلم بتخفيف النبر عند النطق. فكانت طريقة شرح عملية النطق كافية في الحصول على المطابقة .

التنغيم

هو عملية ارتفاع الصوت وانخفاضه بحسب مقتضيات الدلالة وهو: « قرينة صوتية يستدل بها على معاني الجمل المختلفة عن طريق رفع الصوت وخفضه»[٦٤] فالنحاة لم يتعرضوا بشكل صريح لعدم وجود ربط صريح وواضح بين هذه الظاهرة والدرس النحوي واهتمت كتب القراءة القرانية بذلك . فالسمرقندي نقلاً عن

بعض المحققين يجد ضرورة مرعاة ذلك القران ينبغي ان يقرأ على سبع نغمات فما ورد من اسماء الله تعالى وصفاته فبالتوقير والتعظيم وما ورد من المفتريات فبالخفة والترقيق وهكذا نجد أنهم يلتفتون الى اثر التنغيم في دلالة النص.[٦٥] ويرى احد الباحثين أن العرب استعملوا ما يقارب هذا المصطلح وإن لم يذكروه بشكل صريح فإن مصطلحات الترنم ، ومدّ الصوت والتطريب مصطلحات قريبة من التنغيم ذكرها النحاة في موضوعات نحوية عدة[٦٦] . ومن المناسب متابعة المصطلح عند سيبويه . إذ ذكر الترنّم في باب النداء وفي الندبة فحسب وبيّن كيفية كتابتها إذ قال: « أن الندبة كأنهم يترنمون فيها فمن ثم ألزموها المدّ وألحقوا آخر الاسم المد مبالغة في الترنم »[٦٧]. وهي محاولة لوضع معادل كتابي لهذه الظاهرة الصوتية . ولذا فهو في موضع آخر يجعل المعادل الكتابي النون عند إرادة الترنم اذ قال: « فإذا أنشدوا ولم يترنموا فعلى ثلاثة أوجه أما أهل الحجاز فيدعون هذه القوافي ما نون منها وما لم ينون على حالها في الترنم ليفرقوا بينه وبين الكلام الذي لم يوضع للغناء . وأما ناسٌ كثير من بني تميم فإنهم يبدلون مكان المدّة النون فيما ينون وما لم ينون لما لم يريدوا الترنم.. »[٦٨] وكذلك يذكر الرضي : « أن الألف والواو ، والياء في القوافي تصلح للترنم بما فيها من المد ، فيبدل منها التنوين لمناسبته إياها»[٦٩] ويبدو ان مصطلح الترنم هنا ليس بمعنى التنغيم المعروف في الدرس الصوتي الحديث . بل هو بمعنى التطريب والنغم الغنائي وهو واضح من توصيفه عند سيبويه في الشعر الذي يُعدُّ مظهراً من مظاهر الغناء عند العرب بحسب وزنه وقافيته. وما قاله السيوطي يؤيد ذلك : « وما الترنم ؟ قلت : الغناء ، قال : في أي الأحوال ؟ قلت : في الخلوات ، والجلوس مع الإخوان... »[٧٠] . بيد ان التنغيم في الدرس الحديث يعدُّ قرينة على المعنى وليس كذلك ما ورد في بعض موضوعات الدرس النحوي بعنوان الترنم . وهو يظهر في المكتوب عن طريق فونيم النون .

اما المَطْلُ فهو باللغة : : المَدُّ ؛ مَطَل الحبلَ وغيره يَمْطُله مَطْلاً فامْطَلَّ [٧١] . وقد تحدث النحاة عن مدّ الصوت في باب المنادى وفصلوا القول فيه . و ان هذا المبحث وان كان صوتياً بيد أنه لا يدخل في مبحث التنغيم . والتنغيم يدخل قرينة للتفريق بين التعجب والاستفهام أو الاستفهام والخبر مثل قولك (ما جاء زيد) فيصح ان تكون سؤلا عن مجيء زيد اذا كانت النغمة صاعدة . أو إخباراً عن عدم مجيئه اذا كانت هابطة وربما كانت انكاراً لمجيئه . أو للتعجب كذلك وهو غير واضح بحسب الكتابة ولم يضع له النحاة الأوائل مقابلاً كتابياً . فهم يبحثون ذلك في مجال حذف الأداة سواء أكانت أداة الأستفهام أو حرف النداء أو غير ذلك . و ميّز ابن يعيش بين النداء والتعجب إذ قال : « قولهم يا للماء كأنهم رأوا عجباً وماءً كثيرة.. »[٧٢] واهتمام القرّاء بهذه الظاهرة يجنبهم الوقوع في الخلط الدلالي عند قراءة القرآن الكريم . فكثير من أساليب الاستفهام والتعجب والنفي والنهي في النص القرآني تحتاج الى التنغيم لدفع التوهم في الدلالة الذي لا يوجد ما يقابله في الكتابة .

الادغام

إذ يعدُّ ظاهرة صوتية مهمة في الدرس الصوتي القديم و والادغام هو جعل الصوتين المتماثلين صوتاً واحداً في النطق إذ قال السراج في تعريفه: « وصل حرف ساكن بحرف مثله من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف فيصيران بتداخلهما كحرف واحد »[٧٣] والمعلوم أن المراد بالتماثل في تعريفات الاقدمين هو ما يتضمن التجانس والتقارب والتماثل . وبذلك فالحراك الصوتي الذي يحصل بين المتماثلين هو حراك في المنطوق سواء أكان بين الأول والثاني بحسب سيبويه أو بين الأقوى والاضعف بحسب المبرد . الذي ينتج عنه نقص في المكتوب ويعوض هذا النقص بطريقة كتابية أحيانا وهو وضع علامة (الشدة) واحيانا يتحول الصوتان الى صوت جديد فيتغير المكتوب بمستوى فونيم واحد جديد .و قد نقل سيبويه التساوي في الكم بين المنطوق والمكتوب في الادغام وذلك في قراءة

ابي عمرو لقوله تعالى : (**هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**) المطففين / ٣٦ بادغام اللام مع الثاء إذ قرأ أبو عمرو : (هَثُّوب الكُفّار)[٧٤]. والملاحظ أن سيبويه يبين الفرق بين ما كُتب في النص القرآني من جهة وما يقرأ بحسب الاستعمال من جهة أخرى والعجز هنا ليس في الكتابة واصولها بل في طريقة نقل الاستعمال الصوتي المتصف بظاهرة صوتية تحتاج لكتابة موافقة لها . بل ربما يفهم من كلام سيبويه هو إرادة مطابقة المنطوق للمكتوب وليس العكس كما هو المراد في الدرس الصوتي الحديث أي ان النص القرآني كتب في بداية التدوين بهذه الصورة ومن ثم فإن القراءة ينبغي أن تكون موافقة له. ولذا فهو في ادغام الهاء مع الشين يستدل ببيت الشاعر طريف بن تميم العنبري :

تقولُ إذا استهلكتُ مالاً لِلَذةٍ
فُكَيهةُ هَشّيءٌ بكفيكِ لائقُ

والمقصود هو (هل شيء) فادغم اللام مع الشين . وهو بذلك يقدم الاستعمال هنا على المطلوب كتابة . ومن جواز ادغام الحاء مع العين كما في قولك : امدحْ عَرَفه فيقولون: إمدحرفة وكذلك في قولك : اسلغنمك أي اسلخ غنمك [٧٥] .فيذكر ما ينبغي ان يكتب ثم يذكر ما يستعمل عند العرب وهو كأنه هنا يقدم المكتوب على وفق المعيارية العربية على المستعمل الصوتي . ومن ذلك مثلا ما ذكره سيبويه قائلاً : « ومما قالت العرب تصديقاً لهذا الإدغام قول بني تميم محّم يريدون : معهم و محّاولاء يريدون : مع هؤلاء »[٧٦] وقال ايضاً « ومما اخلصت فيه الطاء تاء سماعا من العرب قولهم حُتّهم يريدون : حُطّهم»[٧٧] بذلك نجد الدرس الصوتي المدمج بالدرس النحوي يؤكد نفس المضمون في عدم التطابق في كثير من الظواهر الصوتية المبثوثة في الدرس النحوي. وفي مكان آخر نجد المبرد يرفض قول بعض النحويين بابدال الهمزة ياء من غير سبب محتجاً بما يعرف من الرسم والكتابة العربية إذ يقول : « وأعلم إن قوماً من النحويين يرون بدل الهمزة من غير علة جائز فيجيزون قريت وأجتريت بمعنى قرأت وأجترأت وهذا القول لا وجه له

عند من تصح معرفته ولا رسم له عند العرب »[٧٨] ومن ثم يتبين اهتمام النحويين بالمقابل الكتابي لغرض المطابقة وبذلك يستنكر المبرد هذا الرأي عن طريق هذه الثنائية لاهميتها في الدرس النحوي فلم يكتف بعدم وجوده في كلام العرب بل عززه بعدم وجوده بشكل خطي بوصفه تابعاً للوجود اللفظي.

ومن ذلك ذكر الزجاجي أن بعض العرب تقول (علْماء بنو فلان) يقصدون (على الماء بنو فلان) ويؤكد انها عربية فاشية جيدة[٧٩] . وهو إشارة الى المطابقة .وهكذا نجد عشرات الشواهد التي ذكرها سيبويه عن هذه الظاهرة . و يقول المبرد في الادغام : «أنه لا يبخس الحروف ولا ينقصها»[٨٠] ولكنه قد يبخسها بالقياس الى الكتابة وقد يتساوى معها كما ويختلف كيفاً . وكانت إشارات الزجاجي استعمالية بقوله : «الا ترى الكتّاب يكتبون (الرحمن) باللام وهي في السمع راءٌ مشددة . وكذلك (الضارب) و(الذاهب) تكتب على المعنى واللفظ على خلافة»[٨١] وهي دعوة واضحة تسبق علم اللغة الحديث في إرادة المطابقة بين المكتوب والمنطوق .والفرق هنا في الكم الصوتي إذ يقل عن الكم الكتابي .

وأجتريت بمعنى قرأت وأجترأت وهذا القول لا وجه له عند من تصح معرفته ولا رسم له عند العرب »[٨٢] ومن ثم يتبين اهتمام النحويين بالمقابل الكتابي لغرض المطابقة وبذلك يستنكر المبرد هذا الرأي عن طريق هذه الثنائية لاهميتها في الدرس النحوي فلم يكتف بعدم وجوده في كلام العرب بل عززه بعدم وجوده بشكل خطي بوصفه تابعاً للوجود اللفظي.

الكتابة الصوتية ، والكتابة الهجائية

وجد اللغويون ان اللغة بحاجة الى نمطين من الكتابة للتخلص من التناقض الموجود في طرق الكتابة : الابجدية الصوتية الدولية التي تضع رموزها بين قوسين معقوفين[ ] . والابجدية الفونيمية التي تضع رموزها الصوتية بين خطين مائلين / / ومن الواضح ان الكتابة الصوتية أكثر دقة في مطابقة

المنطـوق للمكتـوب لكنهـا اكثـر تعقيـداً[٨٣] . و اصبحـت الحاجـة ماسـة للابجديـة الصوتيـة في اللغـات الحيـة غـير العربيـة لمـا ذكرنـا مـن سـيرورتها المسـتمرة باتجـاه التبـدل والتعديـل والاختصـار . وكلـما أخـذت اللغـة بالتطـور مـن جهـة النطـق ابتعـدت عـن الكتابـة الهجائيـة وصـارت تحتـاج الى الكتابـة الصوتيـة أكثـر . فالاختصـار في الـكلام يقتـضي حـذف بعـض الأصـوات عنـد نطـق بعـض الكلـمات . والإدغـام يحتـاج الى الجمـع بـين صوتـين . وربـما نطقـت بعـض حـروف الانكليزيـة صوتـا غـير الحرف المكتـوب تمامـا في بعـض التركيبـات الفونيميـة . و بعضهـا لا ينطـق تمامـا مثـل حـرف (k) في بعـض الالفـاظ .وبذلـك يـرى فندريـس إن كل لغـة فيهـا مـن الأصـوات اكثـر ممـا في الكتابـة مـن علامـات.(٨٤) أي ثمـة عجـز واضـح في الكتابـة الهجائيـة ويـزداد هـذا العجـز كلـما ازداد تطـور اللغـات وتسـارعت الظواهـر الصوتيـة المختلفـة عـن اللغـة المشـتركة .

ومـن هنـا نشـأت الحاجـة ملحّـة لإيجـاد الكتابـة الصوتيـة . وبذلـت جهـود كثـيرة مـن علـماء لسـانيين لوضـع الرمـوز الكتابيـة الى ان جـاء النظـام العالمـي أو مـا يسـمى بالكتابـة الصوتيـة العالميـة : phonetic transcription international و اعتمـدت هـذه الكتابـة في كثـير مـن دول العـالم مـع التغـير البسـيط بحسـب اللغـة. ومهـما يطلـق عليهـا اللسـانيون العـرب سـواء اكان الكتابـة الصوتيـة كـما يـرى د السـعران[٨٥] أو الأبجديـة الصـوتي بحسـب احمـد مختـار عمـر[٨٦]. فالنتيجـة واحـدة وهي وجـود نـوع ثـاني للكتابـة غـير الكتابـة الهجائيـة وهـو كتابـة الأصـوات كـما تنطـق .وقـد توصـل علـماء الأصـوات بعـد محـاولات عـدة الى نمـط مـن هـذه الكتابـة كانـت آخرهـا محاولـة لـ(sweet) الـذي عمـل عـلى وضـع رمـز واحـد لـكل فونيـم واحـد مقتربـاً قـدر الإمـكان مـن الكتابـة الهجائيـة. وقـد تبنتـه الجمعيـة الصوتيـة الدوليـة واعتمدتـه أبجديـة صوتيـة دوليـة. لكنهـا لا زالـت -هـذه الجمعيـة - تدخـل بعـض التعديـلات بـين فـترة وأخـرى . ومنهـا وضـع بعـض الرمـوز التـي تناسـب أخـرى مثـل الرمـوز

الخاصة باللغة العربية[٨٧] . وهذا يكشف عن عدم توقف التطور الحاصل في اللغات الحية وموت بعض اجزائها الأمر الذي يستدعي الحاجة المستمرة للتعديل بطريقة الكتابة الصوتية . ولكن الأمر يختلف في اللغة العربية لغة القرآن الكريم التي تنأي عن هذا التغير المستمر . وإن كانت اللهجات لها حركة لا يمكن تغافلها بيد اننا حين نتكلم عن اللغة المشتركة لا نجد الحاجة ملحة لمثل هذا النمط من الكتابة. الا في بعض الظواهر الصوتية البسيطة غير المؤثرة على روح اللغة . وقد بدأ اهتمام الدارس العربي بمطابقة المنطوق للمكتوب ونطق المكتوب بشكل صحيح في مراحل حفظ القرآن وتدوينه وتنقيطه . وقد حرص المهتمون بالنص القرآني على إيصاله بلفظه الصحيح والفصيح عن طريق حمله بالصدورفي بداية الأمر . وبعد أن قلَّ الحفّاظ صارت فكرة التدوين وقد رافق هذا المشروع الحيوي ارهاصات تتعلق بالكتابة . لذا نجد الدرس الصوتي قد أخذ حيزاً متميزاً في القراءة القرآنية والحرص على مطابقتها للمنطوق الأصلي الذي سُمع من النبي (ص)

و يرى وافي إن الكتابة السمعية تتطلب حروفا أكثر من حروف الهجاء العربية المعروفة . وذلك لاختلاف النطق بالصوت الواحد من جهة عبر الألفونات المتنوعة فضلاً عن الحاجة الى صفات الأصوات المختلفة ورموز للظواهر الصوتية المختلفة مثل ادغام بعض الحروف أو الامالة أو الفتح أو التنغيم أو النبر ..وغيرها وبذلك تتضخم اللغة أكثر . وتصعب على المتعلم وتتعقد أكثر . ويرى د تمام حسان مثالية هذا النظام الكتابي للغة العربية إذ يقتصد في عدد الرموز الكتابية بقدر الأصوات المنطوقة فيها ، دون زيادة أو نقصان ، وهذا ما لا نجده في النظم الكتابية للغات الأخرى. ويبدو ان هذه المسالة تأخذ بعدها الحقيقي والواضح في غير العربية من اللغات. لما ذكرنا من التطور السريع في اللغات غير العربية وثبات اللغة العربية لارتباطها بالقران الكريم. ولعلنا لا نبالغ إذا

قلنا إن النظام الكتابي للأصوات في العربية قد وضع منذ كتابة القران الكريم وتدوينه . ولولا ذلك لانحازت كل قبيلة الى نمط اصواتها ورموزها ومن ثم لا تجد مشتركات كثيرة بين العرب وتفترق اللهجات كثيرا فتوحيد اللهجة في القران على لهجة قريش هو العمل على النظام الكتابي للأصوات. وتوحيد الناطقين بالعربية على نمط كتابي واحد وان اختلف -ربما- النظام الصوتي . وكلما ازداد الحرص على قراءة القرآن نجد الأهتمام واضحاً في مطابقة المنطوق للمكتوب ويتم ذلك عن طريق ضبط الكتابة الصوتية عن طريق الحركات .

لم يعتمد أصحاب المعاجم الأوائل مثل الخليل والأزهري ضبط الحركات بشكل تفصيلي وذلك لقربهم من عهد الفصاحة واللغة الاصلية ،والاعتماد على المنطوق بشكل رئيس وعدم تسّرب اللحن بشكل يدعو لذلك وكان اعتمادهم على السليقة في التفريق بين الالفاظ المتقاربة فكانت غايتهم هي بيان معاني الالفاظ العربية وليس كيفية كتابتها . ثم دعت الحاجة الى ضبط الصوائت والصوامت عن طريق الحركات والتنقيط . وأول من اعتمد ذلك هو القالي في البارع في اللغة و الجوهري في الصحاح والفيرزآبادي في القاموس المحيط . وذلك عن طريق ضبط الحركات والوزن والنقاط التي وضعت على الحروف المتشابهة وهو ما يسمى بالإعجام .مثل اعجام التاء عند الجوهري في كلمة (تهتأ) إذ تشترك مع النون والياء في الكتابة فيذكر التاء المعجمة[٨٨] وبذلك فان الإعجام والإهمال كانت ضوابط النطق عند اللغويين العرب في حال الاغماض. أو وقوع اللحن.

ومن المعلوم إن القالي ألف معجمه (البارع) وهو في الأندلس في زمن ابتعد نوعاً ما عن الفصاحة وكان للحن نصيب من الكلام وبذلك التزم ضبط الكلمات كتابياً عن طريق الشكل والوزن . أي اذا ذكر اللفظ يذكر معه كيفية نطقه فيقول : جدّة النهر بكسر الجيم وتشديد الدال وبالهاء والطريق الثاني هو فيقول مثلا زجّ وزججه على مثل

فُعل وفِعلة بكسر الفاء وفتح العين[٨٩] . وهو بذلك يعمل على ضبط عملية النطق لما هو مكتوب ومحاولة المطابقة .ومن ثم فان صعوبة المطابقة بين المنطوق والمكتوب قبل هذا الضبط يخففه الحفظ ومعرفة السياق في الكلام العربي. وهذا الازهري في التهذيب يبين أيضا طريقة النطق بعد ان يسمع من العرب مباشرة قال: « وسمعت العرب تقول علّت الإبل تعلّ إذا شربت الشربة الثانية وقد عللتها أنا أعلها بضم العين »[٩٠] فهو يذكر المنطوق المستعمل ثم يبين طريقة كتابته لئلا يختلط الأمر على بعضهم في مثل هذه الالفاظ . وطريقته في النظام الكتابي هي في بيان الغامض فقط من الأصوات معتمداً في الباقي على السليقة العربية كما ذكرنا .

الخاتمة:

مما تقدم يخلص الباحث الى النتائج الآتية :

١. إن البحثَ في هذه ثنائية المنطوق والمكتوب يعدُّ نظرةً لسانيةً متواضعةً للدرس اللغوي القديم ، وكَشْفاً للجهد العربي الأصيل المكتنز للعلوم والمعارف .

٢. ينبغي التفريق بين ثنائية المنطوق والمكتوب وثنائية الشفاهي والكتابي فلكل واحدة مسارها العلمي وإن اتفقت في بعض الموارد.

٣. ثمة إشارات واضحة لهذه الثنائية في الوعي اللغوي العربي ، ومصطلحات مقاربة لها ولكنها لا تنطبق تماماً مع النظرية اللغوية الحديثة.

٤. يقلّ الافتراق بين المنطوق والمكتوب في الدرس الصوتي العربي القديم بالقياس الى اللغات الأخرى ؛ وذلك لحركة التطور البسيطة التي طرأت على الإستعمال العربي إذ كان للنص الديني الإسلامي الدور الأكبر في ضبط حركة تطور اللغة العربية.

٥. لم يخطأ الدرس الصوتي العربي القديم في استعمال الحرف والصوت بل أن الدرس الحديث هو الذي استعمله استعمالاً جديداً فبان الخلاف.

٦. من أهم عوامل اختلاف المنطوق عن المكتوب في الدرس الصوتي العربي هما : التطور الصوتي ، ونظام الكتابة .

٧. اختلاف الخط العربي وتنوعه من جهة ، وارتباطه بالأصل النبطي من جهة أخرى أوجد بعض المسافات البسيطة بين المنطوق والمكتوب .

٨. لا تعدُّ كل زيادة في الكلام العربي داخلة في البحث إذا كان ثمة ما يقابلها في المكتوب . وكذلك لا يعدُّ كل حذف في اللفظ العربي أو الجملة العربية داخلاً في هذه الثنائية إذا وجد ما يقابله في الكتابة ويدل عليه .

٩. تبيّن أن ثمة قوانين صوتية عامة ، وتأثيرات فكرية تتحكم في اختلاف المنطوق عن المكتوب.

١٠. تعدّ مسالة الفرع والأصل عاملاً مؤثراً في إيجاد النقص الكتابي فالأصوات غير المستحسنة والحركات وتفرعات الأصوات (الالفونات) لم تحظ بوجود كتابي.في بداية نشأة الدرس الصوتي.

١١. لقانون الخفة والسهولة أثراً واضحاً في تفاوت المنطوق والمكتوب فقد يؤدي الى نقص المنطوق للتخفيف في النطق وتسهيل التواصل وقد يؤدي -أحياناً - لنقص الكتابة لكثرة الاستعمال.

١٢. تعدُّ ظاهرتي التنغيم والنبر من الظواهر الصوتية التي لا مقابل لها وظاهرة الادغام من الظواهر الصوتية التي يقل فيها كم المنطوق عن المكتوب .

الهوامش:

١- ينظر أسس علم اللغة ، ماريو باي ،تر احمد مختار عمر ط٨ / عالم الكتب / القاهرة / ١٩٩٨ : ١٣٠

٢- ينظر علم اللغة العام ، فرديناند دي سوسير تر() جمة يوئيل يوسف عزيز ، دار الكتب للطباعة والنشر / ، جامعة الموصل / جمهورية العراق ،١٩٨٨ : ٤٢- ٤٣

٣- ينظر المصدر نفسه : ٤٧

٤- ينظر نظريات في اللغة ، انيس فريحة ، مط دار الكتب اللبناني ط٢ / ١٩٨١ / لبنان : ٥٥

٥- . ينظر الشكل و الخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي ، محمد الماكري ، المركز الثقافي العربي ط١ / ١٩٩١/ بيروت / لبنان : ٧٦ وما بعدها

٦- ينظر اللغة ، فندريس ، ٦٢

٧- علم اللغة مقدمة للقارئ . د محمود السعران : ١٢٥

٨- ينظر سر صناعة الاعراب: ٤٤

٩- ينظر اللباب في علل البناء والإعراب . محب الدين أبو البقاء العكبري (ت٦١٦ هـ) تح محمد عثمان ، ط١ / ٢٠٠٩ : القاهرة : ٥٤٣

١٠- اللباب في علل البناء والإعراب:٥٤٣

١١- صبح الاعشى ، القلشقلندي : ١٢ / ٤٣٦

١٢- البيان والتبين الجاحظ : ١/ ٧٩

١٣- الجمل في النحو ،أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاج (ت ٣٤٠ هـ) : ٢٧٣ .

١٤- الأصوات اللغوية : د . إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٩٢ م: ١١١

١٥- اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان : ٥٧

١٦- المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي د رمضان عبد التواب: ٨٤

١٧- ينظر معجم مقاييس اللغة احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥ هـ) : ٢/ ٤٢ .

١٨- معجم مقاييس اللغة :٣/ ٣٨١

١٩- العين : ١/ ٥٧

٢٠- الكتاب : ٤/ ٤٣١

٢١- الكتاب : ٤/ ٤٣٤

٢٢- سر صناعة الاعراب ، أبو الفتح عثمان ابن جن (ت ٣٩٢ هـ): ٦

٢٣- سر صناعة الاعراب : ١٤

٢٤- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

٢٥- الاشباه والنظائر تاج الدين بن علي السبكي (ت ٧٧١ هـ): ٢/ ٢

٢٦- ينظرعلم الأصوات ، كمال بشر : ٦٣٢

٢٧- ينظر الأصوات اللغوية ، إبراهيم انيس : ١٨٦ وما بعدها

٢٨- ينظر التطور النحوي للغة العربية محاضرات القاها المستشرق الألماني برجستر اسر ،جمع وتعليق وترجمة د .رمضان عبد التواب: ٢٣

٢٩- ينظر الأصوات اللغوية ، ابراهيم انيس : ١٨٥

٣٠- ينظر الأصوات اللغوية ، إبراهيم انيس : ١٨٩

٣١- المحكم في نقط المصاحف ، الداني : ١١

٣٢- ينظر الانتصار للقرآن ، االباقلاني : ٢/ ١٤٨

٣٣- . ينظر في علم اللغة العام ، عبد الصبور شاهين : ٦١ -٦٢

٣٤- ينظر اللغة أ فندريس :٣٨٦

٣٥- ينظر سر صناعة الاعراب ، ابن جني : ٤٠

٣٦- ينظرسر صناعة الاعراب، ابن جني : ٢٢٧

٣٧- قصة الكتابة العربية ، إبراهيم جمعة : ١١

٣٨- انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعربي ، عبد الفتاح عبادة ، ط٢ / مط الكليات الازهرية : ٦

٣٩- ينظر الفهرست ، ابن النديم دار المعرفة ط٢ / بيروت: ١٥وما بعدها

٤٠- ينظر علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن ، محمود فهمي حجازي : ١٩٣

٤١- ينظر الفصل الثاني من كتاب علم الكتابة العربية أ غانم قدوري الحمد : ٢٧ وما بعدها

٤٢- المحكم في نقط المصاحف ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، تح د عزة حسن ، دمشق / ١٩٦٠: ٥٦

٤٣- الكتاب : ٤/ ٤٣٣

٤٤- ينظر المقتضب : ١/ ١٩٤

٤٥- ينظر الجمل : ٢٧٤

٤٦- ينظر سر صناعة الاعراب ، ابن جني : ٤٠

٤٧- ينظر سر صناعة الاعراب ، ابن جني :٤١- ٤٢

٤٨- سر صناعة الإعراب : ٤٤

٤٩- ينظر سر صناعة الإعراب : ٤٦

٥٠- يتظر المفصل في علم العربية ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تح د فخر صالح قدارة ، ط١/ مط دار عمار / الأردن ، ٢٠٠٤ : ٤٢٠

٥١- الخصائص : ١/ ٤٦١

٥٢- ينظرالصوتيات العربية ، منصور بن محمد الغامدي ط١ / ٢٠٠١ / السعودية: ٤٧ ، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية ، مكي درار : ٥٥»

٥٣- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن ابي طالب اعتنى به: جمال شرف وعبدالله علوان،: ٢٩.

٥٤- ينظر غريب الحديث ، ابن سلام : ٤/ ٤٧

٥٥- ينظر سر صناعة الإعراب : ١/ ٣٢

٥٦- ينظر علم اللغة العام ، كمال بشر ، ١٩٠

٥٧- ينظر الجمل : ٢٧٥

٥٨- المحكم في نقط المصحف ، الداني : ٥٤

٥٩- ينظر المحكم في نقط المصحف : ٥٤

٦٠- ينظر العين ، الفراهيدي ، تح المخزومي : مادة نبر ، وإصلاح المنطق : مادة نبر

٦١- ينظر الأصوات اللغوية ، إبراهيم انيس : ١٣٨ ، و ينظر البحث الصوتي عند العرب : ٦٢

٦٢- الكتاب : ٣/ ٥٤٢

٦٣- المقتضب : ١/ ٢٩٣

٦٤- اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٢٦

٦٥- ينظر خلاصة العجالة في بيان مراد الرسالة : ٤٤٥

٦٦- ينظر القرينة الصوتية واثرها في توجيه المعنى عند ابن يعيش أ د فراس فخري ميران أ د قصي سمير عبيس أ مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية / جامعة بابل االعدد ١٨ لسنة ٢٠١٤ : ٨٢

٦٧- الكتاب : ٢/ ٢٣١

٦٨- الكتاب : ٤/ ٢٠٧

٦٩- شرح الكافية للرضي : ١/ ٤٨

٧٠- المزهر : ٥٦١

٧١- لسان العرب : مادة مطل

٧٢- شرح المفصل : ١/ ١٣١

٧٣- الأصول / السراج : ٣/ ٤٠٥

٧٤- ينظر الكتاب:٤ / ٤٥٨ .

٧٥- ينظر الكتاب : ٤/ ٤٥٨

٧٦- الكتاب :٤/ ٤٥٠

٧٧- الكتاب :٤ / ٤٦١

٧٨- المقتضب : ٣٠٢

٧٩- ينظر الجمل في النحو : ٤١٨

٨٠- المقتضب : ١/ ٢١١

٨١- الجمل في النحو للزجاجي : ٢٧٣

٨٢- المقتضب : ٣٠٢

٨٣- ينظر أسس علم اللغة ماريو باي : ٥١

٨٤- اللغة ، فندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص : ٦٢

٨٥- ينظر علم اللغة مقدمة للقارئ ، محمود السعران : ١١٣

٨٦- ينظر دراسة الصوت العربي ، احمد مختار عمر ، عالم الكتب / القاهرة / ١٩٩٧ : ٧٣

٨٧ () ينظر دراسة الصوت اللغوي، احمد مختار عمر، عالم الكتب / القاهرة ١٩٩٧ : ٧٩- ٨٠

٨٨- ينظر الكلام المنطوق والعمل المعجمي، ناصر بلختير ، مجلة دراسات

أدبيـة / مركـز البـصرة للبحـوث والاستشـارات العـدد ٦ سـنة ٢٠١٠ : ٨ ٨٩- ينظـر تشـكيل – بنـاء المعجـم العـربي – دراسـة وصفيـة – تحليليـة ، : ٥٨
٩٠- تهذيـب اللغـة ، أبـو منصـور محمـد بـن احمـد الازهـري (ت ٣٧٠ هـ) تـح محمـد عـلي النجـار : ١/ ١٠٧

المصادر والمراجع:

القران الكريم
١. أسـس علـم اللغـة ، ماريـو بـاي ،تـر احمـد مختـار عمـر ط٨ / عـالم الكتـب / القاهـرة / ١٩٩٨
٢. الاشـباه والنظائـر ، تـاج الديـن بـن عـلي السـبكي (ت ٧٧١ هـ) تـح عـادل احمـد عبد الموجـود ، عـلي محمـد معـوض ، ط١ / دار الكتـب العلميـة ، بـيروت / ١٩٩١
٣. الأصـوات اللغويـة : د . إبراهيـم أنيـس ، مكتبـة الأنجلـو المصريـة ، القاهـرة ، ط ٤ ، ١٩٩٢ م
٤. الأصـول في النحـو ، أبـو بكـر محمـد بـن سـهل بـن الـسراج النحـوي البغـدادي (ت٣١٦ هـ) تـح د عبد الحسين الفتـلي ،ط٣ / مـط الرسـالة ، بـيروت ، ١٩٩٦
٥. انتشـار الخـط العـربي في العـالم الشرقـي والعـربي ، عبـد الفتـاح عبـادة ، ط٢ / مـط الكليـات الازهريـة . د .ت
٦. البحـث الصـوتي عنـد العـرب ، د خليـل العطيـة ، منشـورات دار الجاحـظ / الموسـوعة الصغـيرة / العـراق ١٩٨٣
٧. البيـان والتبيـين أبـو عثـمان عمـرو بـن بحـر الجاحـظ ، تـح عبـد السـلام محمـد هـارون ، مكتبـة الخانجـي / القاهـرة ط٧ / ١٩٩٨
٨. تشـكيل بنـاء المعجـم العـربي دراسـة وصفيـة تحليليـة ، يمينـة مصطفـاي ، أطروحـة دكتـورا ، كليـة الاداب ، جامعـة البليـدة .
٩. التطـور النحـوي للغـة العربيـة محـاضرات القاهـا المسشـترق الألمـاني برجسـتر اسر ،جمـع وتعليـق وترجمـة د .رمضـان عبـد التـواب ، مـط الخانجـي ط٢ / ١٩٩٤ / القاهـرة
١٠. تهذيـب اللغـة ، أبـو منصـور محمـد بـن احمـد الازهـري (ت ٣٧٠ هـ) تـح محمـد عـلي النجـار
١١. الجمـل في النحـو ،أبـو القاسـم عبـد الرحمـن بـن اسـحق الزجـاج (ت ٣٤٠ هـ) تـح عـلى توفيـق الحمـد ، ط١ / مـط الرسـالة بـيروت / ١٩٨٤
١٢. الخصائـص ، أبـو الفتـح عثـمان بـن جنـي (ت ٣٩٢ هـ) تـح عبـد الحميـد هنـداوي مـط دار الكتـب العلميـة / بـيروت ط٢ / ٢٠٠٣
١٣. خلاصـة العجالـة في بيـان مـراد الرسـالة في علـم التجويـد ، أبـو عبـد الله

حسن بن إسماعيل بن عبد الله الموصلي (ت ١٣١٥ هـ) تح د خلف حسين صالح ، مط دار ابن حزم / بيروت د ت
١٤. دراسات في علم اللغة ، كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة / ١٩٩٨ .
١٥. دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب / القاهرة ١٩٩٧
١٦. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، أبو محمد مكي بن ابي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) تح احمد حسن فرحات ،ط٣ / مط دار عمّار ، عمان ، ١٩٩٣.
١٧. سِر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان ابن جن (ت ٣٩٢ هـ) تح حسن هنداوي ، د .ط د. ت
١٨. شرح الكافية ،محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي (ت٦٨٦ هـ) قدم له ووضع حواشيه اميل بديع يعقوب ، مط دار الكتب العلمي / بيروت د ت
١٩. شرح المفصل ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣ هـ) مط المنيرية / مصر
٢٠. الشكل و الخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي ، محمد الماكري ، المركز الثقافي العربي ط١ بيروت / لبنان، ١٩٩١
٢١. صبح الاعشى ، أبو العباس احمد القلقشندي ، مط دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٢ .
٢٢. الصوتيات العربية ، منصور بن محمد الغامدي ط١ / السعودية ٢٠٠١
٢٣. علم الأصوات ، كمال بشر ، دار غريب، القاهرة / ٢٠٠٠
٢٤. علم الكتابة العربية أ غانم قدوري الحمد ،ط١ / دار عمار ، الأردن ، ٢٠٠٤
٢٥. علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة د مالك المطلبي ، مط بيت الموصل، ١٩٨٨ .
٢٦. علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير تر() جمة يوئيل يوسف عزيز ، دار الكتب للطباعة والنشر / ، جامعة الموصل / جمهورية العراق ،١٩٨٨
٢٧. علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية ، محمود فهمي حجازي، مط دار غريب / القاهرة د ت
٢٨. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي . د محمود السعران ، دار النهضة العربية / بيروت د ت
٢٩. العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) تح د مهدي المخزومي ، د إبراهيم السامرائي ، دط دت
٣٠. الفهرست ، ابن النديم دار المعرفة ط٢ / بيروت
٣١. القرينة الصوتية واثرها في توجيه المعنى عند ابن يعيش أ د فراس فخري ميران أ د قصي سمير عبيس أ مجلة كلية

التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية / جامعة بابل االعدد ١٨ لسنة ٢٠١٤
٣٢. قصة الكتابة العربية ، إبراهيم جمعة ، مط دار المعارف / مصر / ١٩٤٧ .
٣٣. الكتاب(كتاب سيبويه) ، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر ، تح عبد السلام محمد هارون ، مط المدني / القاهرة ١٩٩٢
٣٤. الكلام المنطوق والعمل المعجمي، ناصر بلختير ، مجلة دراسات أدبية / مركز البصرة للبحوث والاستشارات العدد ٦ سنة ٢٠١٠
٣٥. اللباب في علل البناء والإعراب، محب الدين عبد الله البغدادي العكبري (ت ٦١٦ هـ) تح محمد عثمان . ط١ / القاهرة ، ٢٠٠٩.
٣٦. لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري ، مط دار صادر / بيروت.
٣٧. اللغة ، فندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ،مط الاميرية / مصر ٢٠١٤
٣٨. اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسّان ، مط دار الثقافة / المغرب ، ١٩٩٤
٣٩. المحكم في نقط المصاحف ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، تح د عزة حسن ، دمشق / ١٩٦٠
٤٠. المزهر في علوم اللغة وانواعها ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت٩١١ هـ) تح فؤاد علي منصور ، ط١ / دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨.
٤١. معجم مقاييس اللغة احمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥ هـ) تح عبد السلام محمد هارونأدار الفكر / بيروت ١٩٧٩
٤٢. المفصل في علم العربية ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تح د فخر صالح قدارة ، ط١/ مط دار عمار / الأردن ، ٢٠٠٤
٤٣. المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد تح محمد عبد الخالق عظيمة ، ط٣ / القاهرة ، ١٩٩٤
٤٤. نظريات في اللغة ، انيس فريحة ، مط دار الكتب اللبناني ط٢ / ١٩٨١ / لبنان
٤٥. الانتصار للقرآن ،أبو بكر بن الطيب االباقلاني(ت ٤٠٣ هـ) تح د محمد عصام القضاة ، ط١ ، مط دار ابن حزم/ بيروت / ٢٠٠١
٦٤. الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية ، مكي درار أطروحة دكتوراه ، جامعة وهران / الجزائر / ٢٠٠٣

Abstract:

The spoken and written duality is one of the categories of the modern linguistic lesson. The researcher proceeds from it to describe the linguistic features that are used in speech. It does not completely match what is spoken with what is written because of the constant movement of the spoken and the change in the phonemic level. The Arabic language has a lesser share than other languages in the percentage of disparity. The ancient Arabic phonetic lesson pointed out the differences, influenced by the simple phonetic development, the written system, and phonetic phenomena, attempting to find congruence. After the religious text imposed a kind of obligation that prevented large distances with which the phonetic lesson requires another type of writing, which is the phonetic writing.

جولييت